

الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بين سنتي ١٣٢ و ٣٥٩ هـ

د. أمينة بطار

قسم التاريخ - جامعة دمشق

كانت بلاد الشام في الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٢ - ٣٥٩ هـ / ٧٥٠ - ٩٧٠ م تحت حكم الخلافة العباسية ، التي أطاحت بالخلافة الاموية ، ونقلت مركز الخلافة من دمشق باتجاه الشرق .

وقد حكم بلاد الشام في ظل الخلافة العباسية في الفترة المذكورة ولاية العباسيين مباشرة حتى سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ - ٨٧٨ م ، حيث أصبحت تابعة للطولونيين حتى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ - ٩٠٥ م . وعادت تبعيتها بعد سقوط الدولة الطولونية للخلافة العباسية مباشرة ، حتى تمكن الاخشيدي من تأسيس الدولة الاخشيديّة في مصر والشام .

وتعرض الاخشيديون في بلاد الشام لمنافسة الحمدانيين ، الذين تمكنوا في سنة ٣٢٣ هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥ م من تأسيس الدولة الحمدانية في حلب . وبذلك انقسمت بلاد الشام بين امارتين ، فشماليها يتبع للامارة الحمدانية ، وجنوبها للامارة الاخشيديّة . ولسنا الآن في معرض الحديث عن اوضاع بلاد الشام السياسية في هذه الفترة ، بل اهتمامنا منصب على الحديث عن الاوضاع الاقتصادية في الشام .

ويمكن القول - في هذا المجال - أن الاوضاع الاقتصادية في بلاد الشام تأخرت في هذه الفترة عما كانت عليه في العصر الاموي ، وذلك لاسباب متعددة يأتي على رأسها : -

١ - ان خلفاء بني العباس وولاتهم في الشام لم يوجهوا اهتمامهم للقيام باصلاحات غايتها تنمية الحياة الاقتصادية ودفع عجلتها الى الامام . وكان هم ولاية العباسيين الوحيد في بادىء الامر ، القضاء على الامويين وانصارهم ، ومصادرة أموالهم وأموال مؤيديهم . وقد أسفر ذلك عن ثورات متكررة جعلت البلاد في وضع مرتبك ، وفي حالة شديدة من الفوضى .

٢ - خوف العباسيين من نفوذ أصحاب الثروات الكبيرة والمصالح الاقتصادية في بلاد الشام ، وخشيتهم من أن يستغل هؤلاء أموالهم لافساد الاهالي على العباسيين . ومما يروى في هذا الصدد قصة الرشيد مع أحد رجال بني أمية الذي علم عنه أنه عظيم الجاه ، واسع الدنيا ، كثير المال والاملاك . فقد أمر الرشيد أحد رجاله بالخروج الى الشام ، وأمهله ثلاثة عشر يوماً فقط للذهاب والعودة لاحضار الرجل . ولكنه لما علم بأن الرجل محسود على النعمة أمر بإعادته الى بلده على أحسن حال (١) .

٣ - استمر تأخر بلاد الشام اقتصاديا في عهد الطولونيين والاشيديين ، لان دمشق لم تكن عاصمة لأي من هاتين الامارتين ، وانما كانت ولاية تابعة لكل منهما . يضاف الى ذلك ما تعرضت له الشام من تخريب بسبب الحروب التي اجتاحتها نتيجة للتنافس بين الامارات المختلفة التي حكمت بلاد الشام في هذه الفترة ، مثل الحروب بين الطولونيين والعباسيين ، وبين الاشيديين والحمدانيين ، وبين الاشيديين وابن رائق ، ثم بين كل من الاشيديين والحمدانيين والبيزنطيين .

٤ - لم تعد بلاد الشام كما كانت مركزاً للخلافة الاسلامية ، ومكان تجمع اموال الولايات في بيت مال المسلمين في عاصمتها دمشق (٢) . حيث يصرف الجزء الاكبر من فائض الاموال لعمران بلاد الشام ، ولاسترضاء اهاليه ، ليبقوا في خدمة الدولة الاموية .

٥ - ثقل الضرائب المفروضة في هذه الفترة على الاراضي ، دفعت بعدد كبير من الزراع الى النزوح عن اراضيهم (٣) ، كما دفعت صفار ارباب الضياع الى الافلات من عبء الخراج العادي ، بالغاء ضياعهم الى الكبار الاقوياء ليخفف عنهم الخراج ، ويدفعون العشر فقط ، كما هو الحال في الاقطاعات (٤) .

٦ - كثرة مصادرة الخلفاء والولاة ، لاموال العمال والكتاب والتجار والاغنياء . فقد صادر محمد بن طفج الاخشيد عماله مراراً . واذا أفلت أحد من المصادرة حياً ، لم يكن يسلم من أخذ أمواله بعد وفاته . وكان العامل اذا صودر ، وثقل عليه عبء المصادرة تبرع له أصحابه ، وجمعوا له الاموال للتخفيف عنه . وكذلك كان يفعل الاخشيد مع التجار الاغنياء (٥) . ومن القصص التي تذكر في هذا المجال أن الاخشيد كان في أحد الايام خارجاً للصيد بظاهر دمشق ، فرأى حماما فأرسل عليه الجارح فأخذه ، فاذا مع الحمام كتاب من الراشدي (٦) الى بعض الدمشقيين يقول فيه : قد حصل عندك تمام ثمانين ألف دينار . فأحضر الاخشيد الرجل ، وطالبه بالمال واخذه منه (٧) .

وسار الحمدانيون على نفس الخطة . فقد قام سيف الدولة بمصادرة الاموال ، كما كان يصادر التركات . وكان قاضيه أبو الحسين الرقي يقول : التركة لسيف الدولة وليس لابي الحسين الا أخذ الجعالة . وشاع بين الناس القول : من هلك ، فلسيف الدولة ما ملك . وادت سياسة سيف الدولة في المصادرة الى كره اهالي دمشق له ، وبخاصة حين أدركوا مطامعه في غوطة دمشق لاعجابه بها ، من الحديث الذي دار بينه وبين أحد رجالات دمشق المسمى بالعقيقي ، اذ صرح له بقوله : - بعد أن أوضح له الاخير بأن غوطة دمشق تعود ملكيتها الى أسر مختلفة - بأنهم ستركوها اذا استولت عليها القوانين السلطانية (٨) .

ولا بد لنا ونحن في معرض الحديث عن الاوضاع الاقتصادية في بلاد الشام ، من القول بأن الضرائب بأنواعها في الشام في هذه الفترة ، كانت تختلف من وقت الى آخر حسب الازمان والاحوال . وقد ترك لنا المؤرخون تقديرات لما كان يحمل منها الى بيت المال في بغداد . تعطينا فكرة واضحة عن الاوضاع الاقتصادية في المنطقة ، واول قائمة وصلتنا من قوائم العصر العباسي هي القائمة التي أوردها الجهشيارى (٩) ، وهي التي عرضت على يحيى البرمكي ، وتنص في جملة ما تنص على ما كان يحمل من الشام الى بيت المال في بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد ، وقد جاء فيها ما يلي :

قنسرين والعواصم - أربعمائة وتسعون ألف دينار

حمص - ثلاثمائة وعشرون ألف دينار

دمشق - أربعمائة وعشرون ألف دينار

الأردن — ستة وتسعون ألف دينار

فلسطين — ثلاثمائة وعشرون ألف دينار

وأضاف بأنه من جميع أجناد الشام من الزبيب يحمل ثلاثمائة ألف رطل .

وبلغ بذلك مجموع ما يحمل من الشام الى بغداد في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مليوناً وستمائة وستة وأربعين ألف دينار ، وهو مبلغ كبير ، يدل على أن خراج الشام في عهد الخليفة هارون الرشيد ، كان قريباً جداً مما كان عليه في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، حيث كان الخراج مليوناً وثمانمائة ألف دينار (١٠) .

وعلى الرغم من تقارب مقدار خراج الشام في عهدي الخلفيتين هارون الرشيد العباسي ، والوليد بن عبد الملك الأموي ، الذي يعتبر عهده من أزهى العهود في العصر الأموي . فلا يمكن أن نستنتج من ذلك أن الوضع الاقتصادي في الشام كان في هذه الفترة مزدهراً لأسباب منها : —

١ — أن الخليفة هارون الرشيد عاقب واليه على الشام (١١) لأنه جعل من دمشق التي كانت جنة خضراء منطقة جرداء .

٢ — أن أهالي قرى فلسطين تركوا أراضيهم في عهد الخليفة هارون الرشيد لتشدد عماله في جباية الأموال منهم ، وتعذيب من يمتنع عن أدائها بكافة صنوف العذاب لجبارهم على دفع ما عليهم (١٢) .

وبالتالي يمكن القول بأن ارتفاع جباية الخراج في عهد الخليفة هارون الرشيد ، يمكن أن يرد الى ارهاق الأهالي بالجباية .

وهناك قائمة أخرى أوردها قدامة بن جعفر (١٣) ذكر فيها ارتفاع (١٤) البلاد الإسلامية بعد سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ — ٨٢٠ م ، وربما كان ذلك في السنوات التي تلت هذه السنة من خلافة المأمون العباسي . ومما جاء فيها عن الجباية في بلاد الشام ما يلي :

ارتفاع أعمال حمص — مائة وثمانية عشر ألف دينار

ارتفاع جند دمشق — مائة وعشرة آلاف دينار

ارتفاع جند الأردن — مائة وتسعة آلاف دينار

ارتفاع جند فلسطين — مائة وخمسة وتسعون ألف دينار

ومما يلاحظ على هذه القائمة أنها أقل بكثير من القائمة التي جاءت في عهد الرشيد . وقد يكون هذا الانخفاض ناتجا عن الاضطرابات الداخلية في بلاد الشام أثناء الحرب بين الامين والمأمون وبعده . كما أن هذه القائمة تهمل خراج قنسرين والعواصم . وقد يكون خراج هذه المنطقة قد انقطع في هذه الفترة بسبب ثورة نصر بن شبيب العقيلي . وإذا حاولنا أن نجمع الأرقام التي وردت في هذه القائمة لوجدنا أن ارتفاع الشام بأجمعه بلغ خمسمائة واثنين وثلاثين ألف دينار ، وهو ثلث الجباية في عهد هارون الرشيد . وهذا إنما يدل على سوء الأحوال الاقتصادية في الشام ، أو على خروج مناطق كثيرة من الشام عن طاعة العباسيين .

وهناك قائمة أخرى أوردها ابن خلدون (١٥) عن الجباية في عهد المأمون . ويحتمل أن تكون هذه القائمة قد سجلت جباية الشام بعد أن استقرت أمورها للمأمون ، وقد جاء فيها :

ارتفاع قنسرين والعواصم - أربعمائة ألف دينار وألف حمل زيت
ارتفاع دمشق - أربعمائة وعشرون ألف دينار
ارتفاع الأردن - سبعة وتسعون ألف دينار
ارتفاع فلسطين - ثلاثمائة وعشرة آلاف دينار وثلاثمائة ألف رطل زيت

والملاحظ في هذه القائمة أنها أهملت خراج حمص ، كما أنها تعتبر عودة بخراج الشام لما كان عليه في أيام الخليفة هارون الرشيد . فقد بلغ ارتفاع الشام بأجمعه مليوناً ومائتين وسبعة وعشرين ألف دينار ، أي أن الجباية زادت عن الضعف في الفترة بين سنتي ٢٠٤هـ / ٨١٩ - ٨٢٠ م والقائمة الثانية في عهد المأمون التي يجب أن تكون قبل سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ - ٨٣٤ م وهي سنة وفاته .

وتدل قائمة الجباية التي وردت في أيام الخليفة المعتصم عن انخفاض خراج الشام عما كان عليه في عهد الخليفة المأمون . وبشكل خاص في دمشق التي انخفض خراجها من أربعمائة وعشرين ألف دينار إلى مائة وعشرة آلاف دينار أي إلى الربع ، وكذلك في فلسطين . بينما ارتفعت الجباية في الأردن قليلاً . وبلغ مجموع الجباية في الشام حسب هذه القائمة مليوناً ومائة واثنين وتسعين ألف دينار . ويبدو أن انخفاض الجباية في دمشق وفلسطين كان بسبب ثورة المقتنع

اليمني التي قامت في منطقة فلسطين (١٦) . وثورة زعار أهل الفوطه على الخليفة المعتصم بحسب رأي ابن العديم في البقية (١٧) . أما تفاصيل هذه القائمة فقد وردت كما يلي :

- جباية قنسرين والعواصم - ثلاثمائة وستون ألف دينار
- جباية جند حمص - مائتان وثمانية عشر ألف دينار
- جباية جند دمشق - مائة وعشرة آلاف دينار
- جباية جند دمشق مائة وعشرة آلاف دينار
- جباية فلسطين - مائتان وتسعة وخمسون ألف دينار (١٨)

وهناك قائمة أخرى للجباية في أواسط القرن الثالث الهجري جاء فيها عن جباية الشام ما يلي :

- جباية قنسرين والعواصم - أربعمائة ألف دينار
- جباية جند حمص - ثلاثمائة وأربعون ألف دينار
- جباية جند دمشق - أربعمائة وعشرة آلاف دينار
- جباية جند الاردن - ثلاثمائة وخمسون ألف دينار
- جباية جند فلسطين - خمسمائة ألف دينار (١٩)

والملاحظ في هذه القائمة ، ارتفاع الجباية في دمشق وعودتها الى ما كانت عليه في عهد الخليفة المأمون . أما جباية فلسطين فقد بلغت شأواً بعيداً ، وقاربت جباية الشام بكامله في القائمة التي وردت بعد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ - ٨٢٠ م وارتفعت جباية الاردن بشكل لم نره في أي قائمة أخرى . فقد تجاوزت ثلاثة أمثال ما جاء في الجباية في سائر القوائم الأخرى . وبلغ مجمل جباية الشام في هذه القائمة مليوناً وتسعمائة وتسعين ألف دينار ، وهي أكبر جباية عرفت في الشام في سائر العهود . وإذا كانت الأرقام التي وردت في هذه القائمة صحيحة ، فإن ذلك يدل على غبن أهالي الشام وزيادة الضرائب عليهم في تلك الفترة ، وبخاصة إذا علمنا أنه لم تحدث أية إصلاحات اقتصادية في هذه الفترة ، بل كان الاقتصاد في تدهور مستمر .

وفي قائمة سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨ - ٩١٩ م ، وهي قائمة علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر ، اختلف الأمر عن غيرها من القوائم التي سبقتها ، فحين

يذكر جباية المشرق يذكر لكل بلد رقمين يضع أمام أحدهما أنه للخراج ، والآخر للضياع . أما للدلالة على الأرقام التي ذكرها عن جباية المغرب بما فيها بلاد الشام ، فكان يذكر أمام الرقم الأول كلمة مال ، ولم يذكر شيئاً أمام الرقم الثاني (٢٠) . وقد يكون ذلك دلالة على جباية عينية . وقد ورد فيها بالنسبة للجباية في الشام مقدرة بالدنانير ما يلي :

جند فلسطين	٨٠٧٥٠ مال و ٢٣٠٦٤٧ = ٣١١٣٩٧
جند الاردن	٤٠٤٦٠ مال و ١٠٢٠٦٢ = ١٤٢٥٢٢
جند دمشق	١١٣٠٥٧ مال و ٣١٥٣٠٠ = ٤٢٨٣٥٧
جند حمص	٢٠٠٤٦٠ مال و ١١٥١١٤ = ٣١٥٥٧٤
قنسرين والعواصم	١٣٣٠٩٧ مال و ٣٥٢٥٧٠ = ٤٨٥٦٦٧
دلوك ورعبان	١٥٧٦٥ = ١٥٧٦٥
الثغور الشامية سوى	
ما صولح عليه أحمد بن الحسين الكاتب	٥٢٩٨٥ = ٥٢٩٨٥
شمشاط وحصن منصور وكيسوم	
بعد الموضوع أي بعد الذي	
أسقط	٥٣٩٧ مال و ٦٥٣٣٢ = ٧٠٧٢٩
ارزن وميفارقين	٥٦٧٥٠ مال و ٨٢٤٢٢ = ١٣٩١٧٢

وأهم ما يتضح في هذه القائمة هو أن جباية كل مدينة من مدن الثغور قد أصبح منفصلاً . فكان كل ثغر له شؤونته الخاصة منفرداً عن غيره . وبلغ مجموع هذه القائمة مليوناً وتسع مائة وأثنين وستين ألفاً ومائة وثمانية وستين ديناراً أي ما يقارب مليوني دينار .

أما تقدير خراج الشام في القرن الرابع فلم يكن ثابتاً . فقد احتل البيزنطيون سواحل الشام شمالي طرابلس ، إلى جانب ما استولوا عليه من الثغور ، ولذلك لم تعد جبايتها تعرف على وجه الدقة يضاف إلى ذلك أن بلاد الشام في تلك الفترة كانت مضطربة سياسياً . وموزعة بين دويلات وحكام يتنازعون السيطرة عليها . ويقدر ابن حوقل (٢١) خراج الشام بعد دفع أرزاق العمال بتسعة وثلاثين مليون درهم . هذا وإذا اعتبرنا الدينار يساوي خمسة عشر درهماً ، كان خراج الشام يساوي مليونين وستين ألف دينار وهو رقم قياسي .

وقد امدنا المقدسي بقائمة أخرى عن خراج الشام ، ذكر فيها ما يلي :

جباية قنسرين - ثلاثمائة وستون ألف دينار
جباية الاردن - مائة وسبعون ألف دينار
جباية فلسطين - مائتان وتسعة وخمسون ألف دينار
جباية دمشق - أربعمائة ألف دينار ونيف (٢٢)

ومن استقراء قوائم الجبائية في فترة البحث (١٣٢ - ٣٥٩ هـ) يتضح ما يلي :

- ١ - ان الجبائية كانت تتدهور في فترة الاضطراب والثورات .
- ٢ - ان جباية الاردن وفلسطين زادت بشكل ملحوظ وكبير في أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد يكون ذلك أحد أسباب ثورة المقتنع في فلسطين ، والتي كانت تضم عدداً كبيراً من المزارعين .
- ٣ - ان خراج الشام في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع ، أصبح أكثر من خراجها في أيام الدولة الاموية ، كما أصبح لكل ثغر من الثغور جباية خاصة .
- ٤ - ان خراج دمشق تراوح بين أربعمائة وأربعمائة وعشرين ألف دينار وهو قريب لما كان عليه في عهد معاوية حيث بلغ أربعمائة وخمسين ألف دينار . ولم ينخفض خراج دمشق عن هذا المستوى الا في القائمة التي وردت عن الجبائية في عهد الخليفة المعتصم .
- ٥ - ان ثبات مقدار الخراج في الوقت الذي ساءت فيه أحوال بلاد الشام انما يدل على ارهاق ولاية العباسيين لاهل الشام دون ما نظر الى أحوالهم الاقتصادية .

الثروة الزراعية والحيوانية

١ - الثروة الزراعية :

لم يلاحظ أي تقدم زراعي في بلاد الشام في هذه الفترة ، بل ان ما يبدو ظاهراً للعيان ، سير البلاد نحو التأخر الزراعي . ويتضح ذلك جلياً من الحديث

الذي دار بين الخليفة هارون الرشيد وبين واليه على دمشق الحسين بن عمار . فقد استاء الرشيد من هذا التأخر الزراعي ، وعزل واليه وعاقبه جزاء ما كان يفعل ، لان دمشق حين وليها كانت جنة خضراء ، فأصبحت أجرد من الصخر وأوحش من القفر ، وأنها لم تعد تغذي بيت المال كما كانت من قبل . وكان رد الوالي أبلغ من كلام الخليفة الرشيد حين أفهمه ان أهالي الشام استأثروا من معاملة العباسيين لهم بشكل عام ، ولذلك فانهم تفرقوا في ميادين التعدي ، وراوا ترك العمارة ليقعوا بالضرر بالسلطان ، كما أنهم أرادوا بذلك ان يشقوا على ولاة العباسيين ، واليك نص هذا الحديث بين العاهلين ، قال هارون الرشيد لواليه الحسين بن عمار : (وليتك دمشق وهي جنة تحيط بها غدر ، تتكفأ أمواجه على رياض كالدراري ، فما برح بك التعدي لارفاقهم ان جعلتها أجرد من الصخر ، وأوحش من القفر . قال والله يا أمير المؤمنين ما قصدت لغير التوفيق من جهته . ولكني رايت اقواما ثقل الحق على اعناقهم فتفرقوا في ميادين التعدي . وراوا المراغمة بترك العمارة أوقع باضرار السلطان . وأرادوا بذلك المشقة على الولاة . وان سخط أمير المؤمنين قد اخذ بالحظ الاوفر من مسأعتي) (٢٣) .

ويمكن ان نعزو اسباب التأخر الزراعي في بلاد الشام في تلك الفترة الى الاسباب الاتية :

١ - لم يقم ولاة العباسيين ومن حكم الشام بعدهم باصلاحات غايتها تنمية الثروة الزراعية في بلاد الشام . فقد استمر الري على ما كان عليه أيام الخلافة الاموية ، الا ما كان من الخليفة المأمون ، الذي أمر بحفر قناة من نهر منين مارة بسفح جبل قاسيون الى معسكره بدير مران (٢٤) . وما قام به سيف الدولة من حفر قناة في مدينة ميفارقين لسوق المياه اليها (٢٥) .

٢ - معاناة أهالي الشام من كثرة الخراج . ومما يذكر في هذا الصدد ان بعض أهالي قرى فلسطين تركوا اراضيهم ، فوجه الخليفة هارون الرشيد اليهم أحد كبار قواده يدعوهم للرجوع الى اراضيهم على ان يخفف عنهم من خراجهم ، وان يعاملوا معاملة احسن مما مضى ، فرجعوا ، هؤلاء هم أصحاب التخافيف . ثم عاد قوم منهم بعد ذلك فردت عليهم اراضيهم على مثل ما كانوا عليه وهم أصحاب الردود (٢٦) .

ومن المرجح أن أهالي قرى فلسطين تركوا أراضيهم في هذه الفترة لتشدد عمال الرشيد في جباية الاموال من الاهالي . فقد أخذ عماله يطالبون بالاموال ويعذبون من يمتنع عن اداؤها بكافة صنوف العذاب لاجبارهم على دفع ما عليهم (٢٧) .

٣ - قيام العباسيين ثم من جاء بعدهم في حكم الشام من أمراء الامارات بمصادرة اراضي السكان (٢٨) ، من ذلك استيلاؤهم على ضياع آل مروان كبالس وقراها التي كانت لورثة مسلمة بن عبد الملك ، واقطعت الى سليمان ابن علي (٢٩) ، وكذلك استولوا على رصافة هشام ، الى جانب ضياع أخرى واسعة . وسميت هذه الضياع ضياع الخلافة (٣٠) . واستولى العباسيون فيما استولوا عليه على دار الصباغين في الرملة وسلمت الى صالح بن علي والى ورثته من بعده (٣١) .

وقد اغتصب الحمدانيون كثيراً من الاراضي ، كما أنهم كثيراً ما ضايقوا أصحاب الاراضي حتى يلجئونهم الى بيع ما يملكون . كما جلا كثير من اهالي المناطق عن اراضيهم ، ومن جلا بنو حبيب وهم بنو عم بني حمدان . فقد خرجوا بذرايعهم ومواشيهم في اثني عشر الف فارس الى الاراضي البيزنطية ، مما جعل المنطقة شمالي البلاد في حالة سيئة . وكان بنو حمدان يصادرون اراضي من جلا عن البلاد ، حتى أصبحوا من أغنى ملوك الاسلام في عهدهم الى جانب عبد الرحمن الثالث خليفة الاندلس (٣٢) .

٤ - الحروب المختلفة التي تعرضت لها بلاد الشام في هذه الفترة ، نتيجة التنافس الحاد بين الامراء على حكمها ، ولاسباب أخرى متعددة . وقد أسفر ذلك عن نقصان الثروة الزراعية في البلاد وتأخرها . فمما يذكر أن حلب كانت من اكثر المدائن شجراً حسبما يستدل من اشعار الصنوبري (٣٣) ، الا ان هذه الثروة الزراعية الضخمة تعرضت للقطع والاتلاف في حوادث متعددة ، ففي المعارك التي نشبت بين سيف الدولة بن حمدان والاختشيد للاستيلاء على المدينة ، تطوع الاختشيد أثناء الحصار بقطع هذه الاشجار ، غير انه اضطر بعد ذلك لترك المدينة الى سيف الدولة . وجاء الاخير وفعل بها مثل ما فعله سابقه ، وتكرر ذلك حتى فني ما بها من شجر . ثم اكمل ذلك تغفور فوكاس امبراطور البيزنطيين حين نزل عليها سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م (٣٤) .

٥ - لم يحرص الحمدانيون على الأشجار والبساتين ، فكثيراً ما اقتلعوا الأشجار وزرعوا مكانها محاصيل موسمية . ففي سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤-٩٤٥ م ، وحين أغلقت حلب أبوابها في وجه عسكر سيف الدولة ، اقتلع جنده كل الأشجار الجميلة المحيطة بهذه المدينة ، وأشجار الفاكهة والبساتين ، وزرعوا مكانها الفلات والحبوب مثل القطن والارز والسّمسم (٢٥) .

وقد شعر اهالي الشام بتأخر بلادهم الزراعي ، فقاموا ببعض التحركات التي من شأنها اشعار السلطة بأوضاعهم السيئة . وحاول خلفاء العباسيين اتخاذ بعض الاجراءات الاقتصادية لرفع مستوى البلاد الاقتصادي ، أو بالأحرى العودة بها الى ما كانت عليه في عهد الامويين . فقد تصدى الخليفة المأمون لتعديل أراضي الشام ، ففرق المساح في كافة اجنادها ، واقام شتاء سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م كله في دمشق لهذه الغاية (٢٦) ، ثم وضع كشفاً جديداً لها .

ويبدو أن هذه الاجراءات الاقتصادية لم ترق للاهالي في كثير من الاحيان ، وكانوا يظنون أن العباسيين قاموا بما قاموا به لزيادة الدخل الوارد اليهم من الاراضي (٢٧) .

وكان العامل الاقتصادي أحد أسباب ثورة المقتنح اليماني في فلسطين في خلافة المعتصم ، اذ يتضح ذلك جلياً حين نعلم أن انصاره كانوا مائة ألف ، كان منهم ما يزيد على ثمانية وتسعين ألفاً من ارباب الزراعة . ولذلك فإن رجاء بن أيوب الحضاري امتنع عن الاصطدام به مباشرة ، وعسكر بازائه حتى جاء موسم حراثة الارض ، فانصرف من كان معه من الحراثين واصحاب الاراضي للقيام بشؤون الارض . وبقي المقتنح في زهاء ألف أو ألفين (٢٨) .

ويتضح ان هؤلاء الزراع لم يكونوا من جند فلسطين وحدها ، بل كان منهم جنود من كافة اجناد الشام ، فيذكر ابن العديم أن رجاء بن أيوب الحضاري حضر لقتال جماعة من زعار اهل الفوطة (٢٩) ، وذلك حين يذكر قدومه لقتال المقتنح .

وعلى الرغم مما ذكر عن تأخر بلاد الشام زراعياً ، فإن بلاد الشام استمرت في زراعة المزروعات التي كانت تصلح لها تربة ومناخاً وموقعا ، كما حدث وأدخلت بعض المزروعات الجديدة في هذه الفترة الى البلاد ، كالقطن

الذي ادخله الحمدانيون الى شمال بلاد الشام (٤٠) . كما استمر نظام الري المتبع في الشام على ما كان عليه . وكان هذا النظام يعتمد على مياه الامطار في مناطق كثيرة ، وعلى مياه الانهار في مناطق أخرى . فكمثال على نظام السقاية ، يمكننا أن نذكر الاراضي المحيطة بمدينة دمشق ، حيث كانت تروى من مياه نهر بردى . وكانت شبكة مياهه مع مياه عين الفيحة ، تسقي عامة دور دمشق وسككها وحماماتها (٤١) .

فمن المعروف أن نهر بردى يتفرع الى سبعة فروع قبل دخوله مدينة دمشق . وكان كل فرع من هذه الفروع ينقسم الى أقسام كثيرة تتفرع في المدينة بمقادير معلومة ، وتجري في قنوات مدفونة في الارض الى أن تصل الى مستحقها بالدور والاماكن الاخرى حسب التقسيم . ثم تنصب فضلات الماء والبرك والمجاري الى قني معقودة تحت الارض حيث تجتمع ثانية في مجرى واحد ، ويبدأ توزيعها في ظاهر المدينة لسقي البساتين (٤٢) .

وبذلك يمكن القول أن الزراعة في دمشق وغوطتها تعتمد على ماء بردى وفروعه ، الا بعضها فيعتمد على مياه الامطار . وقد كانت مساحة غوطة دمشق في أيام الاصطخري مرحلة في مرحلتين (٤٣) ، وتحيط بها المياه الكثيرة التي تسقي الاشجار والزرور المتصلة (٤٤) . وكانت انطاكية كمدينة دمشق بها مياه تجري في دورها وسككها وتسقي القرى الخصبة المحيطة بها (٤٥) .

اما المناطق المعتمدة على مياه الامطار فمتعددة . فجند فلسطين يعتمد في سقايته على ماء المطر ما عدا نابلس ، فان بها مياهاً جارية . ولم تكن عيون المياه في مدينة القدس تتسع لري مزارعاتها . وكانت حمص تعتمد في زراعتها على ماء المطر وكذلك معرة النعمان وما حولها من القرى وجند قنسرين (٢٦) .

وأشهر مزارعات بلاد الشام الحبوب بأنواعها ، كالقمح والشعير والذرة والارز والبسلة والجلبان واللوبيا والحلبة والسسم والقروطم (٤٧) . وكانت تزرع في مناطق متعددة ، وبشكل خاص في حوران والبثنية (٤٨) ، وبالس (٤٩) .

كما اشتهرت بلاد الشام بزراعة الزيتون . وأشهر مناطق زراعته فلسطين، ونخص بالذكر منها نابلس ، وكذلك المنطقة الواقعة جنوبي بيت لحم ، وأكثر جبال فلسطين (٥٠) . وكذلك حلب ، وبشكل خاص سرمين (٥١) وبطياس . وقد أكد الشاعر الصنوبري لنا ذلك في شعره حيث يقول :

اني طربت الى زيتون بطياس بالصالحية ذات الورد والاس (٥٢)

ولزراعة الكروم شهرة خاصة في الشام حتى تكاد لا تخلو منها منطقة من المناطق . وقد ذكر ابن حوقل أن اهالي مدينة زعر القريبة من البحر الميت ، واهالي فلسطين عامة كانوا يلحقون كرومهم وكروم فلسطين كما يلحق النخيل بالطلع (٥٣) . والحقيقة أن اهالي فلسطين عامة كانوا يلحقون كرومهم بالحر الذي يستخرجونه من البحر الميت لتبقى عناقيده سليمة ، ولثلا تتلف بالدود (٥٤) . ومن المناطق الاخرى التي اشتهرت بزراعة الكروم بعلبك ، وجبل مؤاب (٥٥) ، ومنطقة غزه (٥٦) . اما في شمالي بلاد الشام فتصدر قنسرين زراعته ، وكذلك منبج معتمدة على مياه الامطار (٥٧) .

وكان تفاح الشام مضرب المثل في الجودة ، وكان يحمل منه الى الخلفاء في كل سنة ثلاثون الف تفاحة ، ويقال انها كانت في العراق اعقب منها في الشام (٥٨) . ومن المناطق التي كان يزرع فيها ، حبرون في فلسطين (٥٩) .

وزرعت بلاد الشام النارج والاترج (٦٠) . وقد حمل اليها من الهند بعد الثلاثمائة للهجرة . وقد كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية مثل انطاكية ، وكذلك في سواحل الشام بما فيها فلسطين . ويقال أن ثمار النارج في فلسطين كانت احسن منها في غيرها من البلاد (٦١) .

وزرع قصب السكر في بلاد الشام وبشكل خاص في مدينة صور . وبلغ من شهرة مدينة صور بزراعته ، أن بعض اهالي مدينة البندقية ، اتخذوا بها أيام الحروب الصليبية مزرعة من القصب (٦٢) . وكذلك اشتهرت بيروت وطبرية بزراعته (٦٣) وغيرها (٦٤) .

وكان الهليون يزرع في بلاد الشام (٦٥) . ومما يؤيد ذلك أن بعض الشعراء انشد الخليفة المستكفي يصف الهليون ، فالتفت اليه الخليفة موضحا أن الهليون يتعذر وجوده بنفس الوصف في بغداد ، واذا كان لا بد من الحصول عليه فيجب الكتابة الى الاخشيذ ليحمل ذلك من نواحي دمشق (٦٦) . كما زرع القلقاس في فلسطين (٦٧) .

واشتهرت مناطق متعددة في الشام بزراعة النخيل ، منها منطقة الغور ، وبشكل خاص في المنطقة الممتدة من الشراة الى الحولة (٦٨) . وفي بيروت واسكندرونة وعين زربة (٦٩) وفي بياس (٧٠) وبيسان والرملة (٧١) ، وفي غزة (٧٢) .

كما اشتهرت بلاد الشام بالفواكه ، فقد زرع الموز في المنطقة الممتدة من الشراة الى الحولة (٧٣) ، كما زرع التين في اكثر جبال فلسطين ، وفي الرملة (٧٤) ، وغزة (٧٥) وفي قنسرين (٧٦) . وزرع الجميز في جبال فلسطين (٧٧) . كما زرع الجوز واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية في الجبال المحيطة بملطية ومنطقة القدس (٧٨) . وزرع الفستق في قنسرين . والرمان في ملطية وشيزر وحارم (٧٩) . وكان للرمان في ذلك الوقت أهمية كبيرة . فقد ذكر ان سفنا كثيرة كانت تسير في الفرات قاصدة بقداد ، محملة بقرأير الرمان من بلاد الشام الى جانب أطواف الزيت والخشب (٨٠) . أما التوت فقد زرع في منبج . وهناك فواكه أخرى اشتهرت بها الشام مثل القراصيا والبرقوق والمشمش والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون والكباد (٨١) .

كما اشتهرت بلاد الشام بمزروعات أخرى منها البطيخ والقثاء والملوخيا والباذنجان واللفت والجزر والقنبيط والبقلة اليمانية ، وغير ذلك من أنواع الخضروات المأكولة (٨٢) .

وقد عرفت زراعة القطن اعتبارا من النصف الاول من القرن الرابع الهجري ، نقله الحمدانيون الى شمال بلاد الشام (٨٣) . ويبدو أن هذه الزراعة انتقلت في فترة بسيطة الى جنوب بلاد الشام ، اذ يحدثنا المقدسي من أنه رأى القطن يزرع في المناطق القريبة من الحولة (٨٤) .

واشتهرت بلاد الشام أيضا بزراعة أنواع متعددة من الزهور والرياحين ، خلدها الشاعران الصنوبري وكشاجم (٨٥) ، اللذان ذخرت أشعارهما بوصفها . ومن رياحين الشام الورود والنرجس والبنفسج والياسمين والنسرین والآس (٨٦) .

وكانت بلاد الشام مجمعا للاخشاب ، فحصد التينات على شاطئ البحر بالقرب من الاسكندرونة كان مجمعا لخشب الصنوبر الذي ينقل منه الى سائر مناطق الشام ، والى مصر والثغور (٨٧) . وكذلك كانت جبال لبنان مستودعا للاخشاب الصالحة لبناء السفن ، التي تستخدم محليا ، وتصدر أيضا ، وخاصة الى مصر .

ويتضح من عرض المزروعات التي عرفتها بلاد الشام في الفترة موضع البحث ، ان الجبال الساحلية كانت مشجرة على الغالب ، وهي ذات قرى

وعيون ومزارع . وكانت الاغوار كذلك ذات قرى وانهار ونخيل . وكان على سيف البادية قرى وفيها عيون ، وتزرع بها الاشجار (٨٨) .

ب - الثروة الحيوانية :

تنوعت الثروة الحيوانية في بلاد الشام في هذه الفترة ، فقد ربيت الاغنام في منطقة عمان (٨٩) ، وكذلك الجاموس الذي أصبح له مكانة خاصة في بلاد الشام منذ ان ادخل اليها في اواخر العصر الاموي . فقد شكوا الاهالي كثرة هجوم السباع عليهم ، فأمرت الحكومة بوضع أربع آلاف جاموسة على حدود البلاد الشمالية ، لان الجاموس يعتبر اكبر عدو للأسود (٩٠) . وانتشرت تربيته من شمالي بلاد الشام الى جنوبيها ، فاغتنى اهالي فلسطين بتربيته واعتمدوا في غذائهم على لبنه ولحمه . واستخدم في مناطق كثيرة في الشام للامال الزراعية ، وقد انتقل عن طريق الشام الى ايطاليا والاندلس (٩١) .

اما البقر فلم يكن لحمه مستساغا ، وانما كان يربى للانتفاع بلبنه . فبعد ان كان الناس يأكلون لحمه في القرن الثاني الهجري ، ذاع بينهم أن لحمه ضار بالصحة ، بل ان بعض الاطباء كان يعتبره ساما ، وكان ابو بكر الرازي لا يوصي الا بلبن الغنم ولحم الضأن (٩٢) .

والى جانب ذلك اهتم اهالي الشام بتربية الخيل والبغال والحمير ، ومن الطيور اهتموا بتربية الاوز والدجاج والحمائم (٩٣) .

وقد برع اهالي الشام في تربية النحل لاستخراج العسل . وكان العسل عندهم انواعا متميزة ، واحسنه ما رعى السعتر في الاراضي المحيطة بالقدس وجبل عامل (٩٤) .

اما السمك فقد كان يستخرجه اهالي الشام من طبرية ، واشهر انواعه السمك البني الذي حمل اليها من واسط (٩٥) . كما كانوا يستخرجون السمك من خليج العقبة (٩٦) .

الصناعة

اشتهرت بلاد الشام في فترة البحث ، بعدد من الصناعات النسيجية والمعدنية والغذائية . ففي معرض الصناعات النسيجية ، اشتهرت مدينة دمشق

بالذات بصناعة الاقمشة الحريرية التي لا تزال تسمى الدمقس (دامسكو) (٩٧) . كما عرف الدمشقيون نسج الديباج وغيره (٩٨) . واشتهرت حمص بنوع من الاقمشة ، تقارب تلك المصنعة في مدينة الاسكندرية من حيث الجودة والحسن (٩٩) . كما أن مدينة طبرية كانت تنسج نسيجا ابيض تصنعه ثيابا . وكان ثمن الثوب منه اربعمائة درهم لجودته ، في نفس الوقت الذي كان غيره من الاثواب يساوي مائة درهم فقط (١٠٠) . وكان الدمشقيون يستخدمون الصباغ في تلوين الملابس ، وكانوا بارعين في صناعته (١٠١) .

واشتهرت كذلك عسقلان بوجود حرير فائق فيها (١٠٢) ، وبلغت بذلك صناعة المنسوجات الحريرية في الشام درجة كبيرة من الرقي ، كمثيلاتها في فارس والعراق .

وكذلك اشتهرت اعنك في نواحي حوران بصناعة البسط ، وبصناعة نوع جيد من الاكسية (١٠٣) ، كما اشتهرت بلاد الشام كغيرها من سائر البلاد الاسلامية بصناعة الحصر (١٠٤) ، وبشكل خاص سكان قدس بالقرب من طبرية الذين اشتهروا بقتل الحبال الى جانب صنع الحصر (١٠٥) .

اما الصناعات المعدنية ، فكانت بسيطة ، ولكنها ذات اهمية كبيرة بالنسبة لذلك العصر . فقد اشتهرت دمشق بصناعة القسي ، وكانت قسيها معروفة بدقة الصناعة ، كما برع أهالي الشام في صناعة الفسيفساء . وقد شاهد الرحالة المقدسي جدران اروقة المسجد الحرام وقد زينت بالفسيفساء التي حملها صناع الشام ومصر (١٠٦) . واستمر أهالي الشام ببراعتهم في هذه الصناعة ، فتركوا لنا نموذجا جميلا في قبة الظاهرية في دمشق (١٠٧) .

كما حافظت بلاد الشام على الرغم من كل ما تعرضت له ، على شهرتها في صناعة الخزف وبشكل خاص المنقوش منه . وكذلك برع أهالي الشام في صناعة الزجاج . وقد وصف زجاج الشام من قبل كثير من المؤرخين والرحالة ، وضرب به المثل في الرقة والصفاء ، حتى يقال أرق من زجاج الشام ، وأصفى من زجاج الشام (١٠٨) . وقد مهر أهل الشام في زخرفة الزجاج بالذهب وتلوينه بالوان أخرى . وبلغوا في ذلك درجة كبيرة من الاتقان . وكان الزجاج الملون المطلي بالمينا يصدر الى كثير من جهات العالم (١٠٩) .

وكان بالقرب من بيروت (١١٠) وفي ضواحي دمشق ولا سيما في داريا مناجم الحديد ، ساعد وجودها على نمو بعض الصناعات ، واشتهر فولاذ دمشق بغرابة سقايته وصلابته ورونته . وقد اتقن أهالي دمشق بواسطة هذه المادة صناعة السيوف ، ولشهرة سيوف دمشق فقد امر خماروية بن احمد بن طولون بصناعة سبعة عشر سيفاً دمشقياً لفلمانه مقابل سيوفهم التي تبرعوا بها للاعرابي الذي مدحه (١١١) . وقد نقل الصليبيون سر هذه الصناعة الى بلادهم . واستمر الصناع الدمشقيون محتفظين بتفوقهم في هذه الصناعة الى ان سباهم تيمورلنك، فماتت هذه الصناعة في دمشق لتزدهر في بلاد العجم (١١٢) .

وابدع اهل دمشق في ترصيع الآنية المعدنية بالذهب والفضة ، كما ابدعوا في النقش على الخشب . فقد اكتشف تابوت من خشب الجوز للسيدة سكينه بنت الحسين بن علي ، وعليه نقوش عربية نفيسة ، وكتابة كوفية يرجع تاريخها الى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ - ٩٥١ م . وعلى الرغم من الشك في التاريخ الذي ورد على هذا التابوت ، لان السيدة سكينه توفيت قبل هذا التاريخ بكثير ، الا انه من الجائز ان يكون هذا التابوت قد صنع لها بعد فترة من وفاتها ، أو انه كان لغيرها . فما يهمنا هو النقوش العربية الجميلة التي نقشت عليه (١١٣) ، وما فيها من مهارة واتقان .

وقد وجد في بيت جبريل في فلسطين مقاطع للرخام . كما وجد في منطقة عمان جبال بيض من الحوارة التي تستعمل في طلاء سقوف المنازل باللون الابيض . كما كانت توضع منه طبقة فوق سطوح المنازل . كما اشتهرت فلسطين بمقاطع حجارة بيضاء استخدمت في البناء (١١٤) . واستخرج الكبريت من منطقة الاغوار، كما استخرج الملح من البحر الميت (١١٥) . واستخدم الحمر في تلقيح الكروم في فلسطين (١١٦) .

واشتهرت دمشق وطبرية وطرابلس الشام بصناعة الورق (١١٧) . كما مهر اهل الشام في تجليد الكتب . وقد برع الرحالة المقدسي في التجليد على طريقة اهل الشام . وكان يطلب منه تجليد الكتب كلما حل بمنطقة . فقد زار اليمن ونزل في عدن ، فأعجبوا بتجليده ، ودفعوا له دينارين في تجليد المصحف (١١٨) .

وكذلك اشتهرت بيت المقدس بصناعة السبح لكثرة زوار المسجد الاقصى، ولا تزال هذه الصناعة مزدهرة الى اليوم (١١٩) .

اما الصناعات الغذائية ، فعلى رأسها صناعة الصابون . وكانت بالبس وحلب مشهورتين بصناعته (١٢٠) . كذلك اشتهرت نابلس وحلب بصناعة الزيت المستخرج من الزيتون (١٢١) ، والذي كان من أهم خصائصه الصفاء والنظافة . وكان الزيت يحرز في جباب كبيرة بمدينة حلب . ولما بلغ البيزنطيون هذه المدينة سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م عمدوا الى هذه الجباب ، فصبوا فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض (١٢٢) . وكانت الشام تمد البلاد الاسلامية بما تحتاجه من الزيت الذي كان يعرف بالركابي ، لانه كان يحمل على الابل من الشام (١٢٣) .

النشاط التجاري

مما لا شك فيه ان التجارة تحتاج في نشاطها وازدهارها الى توفر عناصر متعددة اهمها انتشار الامن ، وسهولة الانتقال من مكان الى آخر دون عوائق ، وتوفير الحماية لاموال التجارة من المصادرة وغيرها ، الى جانب وجود اسواق مزدهرة تصرف فيها هذه البضائع . واذا حاولنا أن نناقش هذه الامور في بلاد الشام في فترة البحث ، لوجدنا ما يلي :

١ - ان بلاد الشام في معظم فترة البحث لم تخضع في حكمها لوال واحد ، بل انها في كثير من الاحيان كانت توزع على ولاية متعددين . فقد كان يعين لكل جند من اجناد الشام وال مستقل عن الآخر تمام الاستقلال . ومما لا شك فيه ان هذا الاستقلال بين اجناد البلد الواحد كان من اكبر الدواعي لتأخر التجارة في هذه المنطقة ، لانه كان يشكل عوائق على حركتها . فبعد أن كان التجار الذين يملكون في الشام يدفعون على تجارتهم مكوسا معلومة محددة لخزينة الدولة ، نراهم يضطرون لدفع مكوس عند انتقالهم من جند الى آخر . ومما يؤيد ذلك ما ذكره المقدسي عن مدينة بيت المقدس . فقد كان يفرض في هذه المدينة مكوسا ثقيلة على البضائع ، فضلا عما كانت تتخذه من اجراءات أخرى تقيد حرية التجارة . فقد كان على ابوابها وعلى ما يبتاع بها رجال كانت وظيفتهم أن لا يدعوا أحداً يحمل بضاعة تنفع الناس الا ويجبرونه على بيعها فيها (١٢٤) . كما فرض في الشام ضرائب حماية على كل من يملك مركبا ، وكان الذي يأتي من ذلك يعادل ما يأتي من خراج الارض (١٢٥) .

٢ - ان بلاد الشام كانت مضطربة سياسيا فانتشر قطاع الطرق ، وسيطر الاعراب على طرق القوافل ، وقاموا بالسلب والنهب (١٢٦) . وقد تعين على

كل قافلة تعبر الطريق أن تكون مخفورة برجال القبيلة التي تمر بأراضيها ، وعليهم أن يدفعوا مقابل ذلك اتاوة لها ، والا هلك رجالها وسلبت أموالها (١٢٧) .

٣ - أدت قلة الامن الى انقطاع بعض الطرق في الشام . فيذكر ابن حوقل (١٢٨) أن طريق الرقة أثناء رحلته كان منقطعاً ، ولا يمكن للتجار اتخاذه ، وهو يعلل هذا الانقطاع على التجار لسببين : اولهما الخوف من هجوم مفاجيء للبيزنطيين ، والثاني اعتراض السلطان عليهم ، وقد يكون قصد بذلك مصادرة أموالهم .

٤ - مصادرة أموال التجار (١٢٩) ، فقد عرف عن الاخشيذ مصادرته للتجار الاغنياء (١٣٠) . كما أن الامير سيف الدولة وابنه من بعده كانا يصادran أموال التجار وبضائعهم . فقد صادر سيف الدولة التجار الذين حوصروا في بالس - أثناء قتاله مع كافور - ولم يسمح لهم بتركها الا بعد أن تنازلوا عن احمال من البز واطواف من الزيت وغير ذلك من متاجر الشام . فعل ذلك مرتين متواليتين في فترة زمنية قصيرة . وقدر ما صادره بمليون دينار . وكذلك فعل ابنه بعده ، فقد كان يصادر ما في أيدي تجار حلب (١٣١) .

٥ - احتكار التجارة أو بعض مواد التجارة من قبل الامراء في البلاد ، طلباً للمال . فقد كانوا يشترون البضائع من التجار ثم يعرضونها للبيع ، هذا الى جانب أن بعض الصناعات المحلية كانت تصنع لمصلحتهم وتباع لحسابهم مثل الصابون والخل (١٣٢) . ومن الامثلة عن مصادرات الاخشيذ ما سبق أن أشرت اليه .

وقد ظلت التجارة مستمرة على الرغم من كل ما سبق ، بسبب موقع بلاد الشام الهام ، وكونها مصدراً من مصادر الثروة الزراعية والصناعية ، التي جعلت التجارة المورد الرئيسي لاهل البلاد .

٢ - المعاملات التجارية والمالية :

كان التعامل المالي في بلاد الشام في أوائل القرن السابع الميلادي بالدنانير الذهبية التي كانت سائدة في الدولة البيزنطية ، وكانت تسمى بالقيصرية ، وكذلك بالدرهم الفضية الفارسية . وحين فتح العرب الشام لم يغيروا النظام المالي البيزنطي الذي كان قائماً بها ، واستمر التعامل المالي على أساسه . ومنذ

سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م أخذت الشام تتعامل بعملة اسلامية سكهها الخليفة عبد الملك ابن مروان ، حلت مكان سابقتها البيزنطية ، وكان وزن هذا الدينار الذهبي ٤ر٢٥ غرام وتغير وزنه بتغير العهود والحكام (١٢٣) .

وفي العصر العباسي أخذت كل مدينة كبيرة في الشام تضرب النقود . فظهرت نقود من ضرب الراققة ، وأخرى في قنسرين أو حلب أو دمشق أو الرملة ، وكانت هذه النقود تستعمل الى جانب الدنانير العباسية التي سكهها خلفاء بني العباس في العراق (١٢٤) .

ومن الدنانير الذهبية التي شاع استعمالها في الشام الدنانير التي ضربها أحمد بن طولون في مصر سنة ٢٦٦ هـ ، التي كتب على أحد وجهيها « بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ست وستين ومائتين » ، وعلى الوجه الآخر « لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، الله محمد رسول الله ، المعتمد على الله ، أحمد بن طولون ، محمد رسول الله أرسله . الخ (١٢٥) .

وكذلك فقد ضرب لؤلؤ مولى ابن طولون نقوداً في الراققة مشابهة للنقود التي ضربها سيده وكتب عليها اسم لؤلؤ تحت اسم أحمد بن طولون (١٢٦) .

وضرب خمارويه نقوداً ذهبية في الراققة سنة ٢٧٣ هـ ، وفي حران سنة ٢٧٦ هـ وهي مشابهة لما ضرب في عهد أحمد بن طولون (١٢٧) .

وقد ضرب محمد بن صفوان العقيلي في قرقيسيا سنة ٢٧٥ هـ نقوداً ضرب على أحد وجهيها « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المفوض الى الله ، محمد ، بسم الله . ضرب هذا الدينار بقرقيسيا سنة خمس وسبعين ومائتين ، لله الامر » وعلى الوجه الآخر « الله ، محمد رسول الله ، المعتمد على الله ، أحمد بن الموفق ، محمد بن صفوان (١٢٨) .

وقد ضربت في دمشق سنة ٢٧٦ هـ نقود مثل النقود التي ضربها خمارويه في مصر ، وهذه الاخيره على نسق النقود التي ضربها أحمد بن طولون (١٢٩) . كما ضربت نقود ذهبية في الراققة سنة ٢٧٨ هـ . وكذلك ضربت نقود في حلب سنة ٢٨١ هـ عليها اسم المعتضد بالله وخمارويه (١٤٠) . وفي الرملة ضربت نقود سنة ٢٩٠ هـ عليها اسم المكتفي بالله ، واسم هرون بن خمارويه .

وضربت نقود ذهبية في العهد الاخشيدي معظمها في فلسطين . منها ما ضرب سنة ٣٣٢ هـ وعليها اسم المتقي لله والاخشيد (١٤١) . وما ضرب في

سنة ٣٤٦ هـ وعليها اسم المطيع (١٤٢) وابو القاسم بن الاخشيد ، واخرى في سنة ٣٥٥ هـ في عهد كافور (١٤٣) .

كما ضربت فلوس نحاسية (١٤٤) في مناطق متعددة من بلاد الشام ، منها فلوس ضربت في مدينة حلب سنة ١٤٦ هـ ، ضربها الامير صالح بن علي . وهناك فلوس اخرى ضربت في قنسرين سنة ١٥٧ هـ ضربها موسى مولى امير المؤمنين (١٤٥) . وكذلك ضربت فلوس في مدينة الرافقة سنة ١٨٩ هـ كتب على احد وجهيها « بسم الله ضرب هذا الفلس بالرافقة سنة ١٨٩ هـ » ، وعلى الوجه الآخر « بسم الله مما امر به عبد الله هرون امير المؤمنين اعزه الله (١٤٦) . وكذلك ضربت فلوس في دمشق سنة ١٩٢ هـ (١٤٧) .

ويبدو ان استعمال الدراهم الفضية في الشام اخذ في الانتشار مع بداية القرن الرابع الهجري ، حتى ان معاملات كثيرة اخذت تجري به . فقد انفذ سيف الدولة سفتجة بثلاثة آلاف درهم الى احد رجال دولته المسمى بالناظري (١٤٨) .

وكثيراً ما كانت بعض المعاملات البسيطة تتم عن طريق المقايضة (١٤٩) . وكانت المقايضة كثيرة الانتشار في بادية الشام . ففي أثناء المساومة بين الطرفين ، يضع أحدهما يمينه في يمين الآخر ، فاذا قال البائع « بعث » وقال الشاري « اشتريت » ترك كل منهما يد صاحبه وتم البيع والشراء (١٥٠) .

وكانت المعاملات المالية الضخمة تتطلب وسائل للدفع مأمونة من الضياع ، خفيفة الحمل ، وبعيدة عن متناول اللصوص . ومن هذه الوسائل السفاتج او الحوالات . وكانت تستخدم في القرنين الاول والثاني الهجريين على نطاق ضيق . ثم عم استخدامها في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين . وذلك تبعاً لنشاط التجارة ، وازدياد المعاملات المالية ، وصعوبة حمل المبالغ الكبيرة من بلد الى آخر .

وقد كثر استعمال الحكام والتجار للسفاتج على السواء . وهذه السفاتج تكون قابلة للصرف في أي بلد ، ولاي من عملاتهم ، وكانوا في هذا يقومون بدور البنوك . فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الاموال ، ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم (١٥١) .

وتذكر قصص متعددة حول استعمال السفاتج . فيحكى أن سيف الدولة ورد الى بغداد متخفياً أثناء أمة توزون ، فاجتاز شارع دار الرقيق ، ودخل

دار بعض الفتيان فسمع وشرب معهم ، وعند خروجه استدعى دواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم اتصرف . ففتحوا الدواة ، فاذا في الرقعة ألف دينار على بعض الصيارف ، فتمجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة ، فأعطاهم الصيرفي الدنانير توا ، فسألوه عن الرجل ، فاذا هو سيف الدولة بن حمدان (١٥٢) .

وكذلك أنفذ سيف الدولة سفتجة بثلاثة آلاف درهم الى أحد رجال دولته المسمى بالناظري - بعد أن طلب الامان وعاد اليه - وكان قد هرب الى كافور الاخشيدي بعد أن استولى سيف الدولة على ضيعته (١٥٣) .

كما كان الولاة يرسلون مازاد من دخل ولاياتهم الى مقر الخلافة في بغداد على شكل سفاتج (١٥٤) .

وقد وجد في بلاد الشام فنادق خصصت للتجار الغرباء ، وكانت اشبه بالاسواق الكبيرة . وكان التجار يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ويقفلون غرفهم بأقفال رومية .

ب - التجارة الداخلية :

كان لكل طائفة من التجار في بلاد الشام سوق يختص بها . وأخذت الاسواق أسماء السلع التي تبيعها ، فهناك دار بيع الفاكهة والخضار التي كانت تسمى دار البطيخ (١٥٥) . وكان الشاعر الوأواء منادياً بها ينادي على الفواكه قبل أن يصبح شاعر سيف الدولة (١٥٦) . وهناك سوق الصاغة ، وسوق السراجين ، وسوق الزجاجين (١٥٧) . وأكبر أسواق دمشق السوق الذي يصل من باب الجابية الى باب شرقي .

كان النشاط التجاري الداخلي يتركز في أسواق المدن ، حيث كان التجار يمكثون بها الى ما بعد الظهر ، ثم يعودون الى منازلهم في المساء . وكان نظام الاسواق طولاني ، تمتد الحوانيت على طول الشارع من الجانبين (١٥٨) . وكانت أسواق دمشق من أحفل الاسواق وأحسنها انتظاماً ، وكذلك كانت قيسارياتها . فقد كانت كل واحدة منها منفردة بضبتها وأقفالها ، وأبوابها مصنوعة من الحديد ، تشبه أبواب القصور (١٥٩) . ويبدو أن ذلك كان لوقوع دمشق على طريق الحجاج الرئيسي . فقد كان الحجاج يجتمعون فيها عند ذهابهم الى مكة لاداء فريضة الحج ، وعند عودتهم منها بعد أداء الفريضة ، مما ساعد على تدفق السلع الى أسواقها . وكان يرافق قافلة الحجاج جماعة كبيرة من التجار

ليستظّلوا بأمان القوة العسكرية المرافقة للقافلة ، والأمثلة كثيرة (١٦٠) .
وكان طريق قوافل الحجاج الذي يجتاز بلاد الشام يمر في الطريق المحاذي
لبادية الشام ، وهو الذي يمر شرقي نهر الاردن . وبعد العودة من الحج يقوم
الحجاج بزيارة بيت المقدس والمسجد الاقصى ، وقبر ابراهيم الخليل . وقد
ادت هذه الحركة المستمرة الى انتشار السلع في أسواق دمشق . ومن المرجح
أن المدن البحرية التي لم تكن تبعد عن سوق دمشق كثيراً مثل طرابلس وبيروت
وصور وعكا كانت تحصل على ما تحتاج اليه من السلع من سوق دمشق (١٦١) ،
الى جانب ما كانت تحصل عليه من البضائع نتيجة تجارتها البحرية مع الخارج .
كما أن دمشق أصبحت مركزاً هاماً للقوافل التجارية الآتية من آسيا الصغرى
او من العراق الى الجزيرة العربية ومصر (١٦٢) .

كما اشتهرت بيت المقدس كسوق ناقلة للتجارة بين الشرق والغرب .
فقد كان معظم حجاج المسلمين يعملون على زيارة بيت المقدس بعد انتهاء فريضة
الحج . وهناك يتقابلون في القدس مع الحجاج المسيحيين (١٦٣) ، وتتاح الفرصة
للطرفين لتبادل السلع . ويقال أنه في ١٥ سبتمبر / أيلول من كل عام كان يقام
في بيت المقدس سوق كبيرة يفد اليها تجار الأمم المختلفة حيث يتبادلون السلع
والبضائع (١٦٤) .

ولا يخفى أن الانظمة التي سادت في القدس كانت لا تساعد على نشاط
التجارة ، فقد كانت تفرض مكوساً باهظة على ما يباع في أسواقها . كما كان
هناك رجال يقفون على أبواب المدينة ، ويجبرون التجار الذين يمرون بقربها
على بيع متاجرهم فيها ، وخاصة اذا كان ما يحملونه من المواد الضرورية
للسكان (١٦٥) .

وكذلك كانت انطاكية التي حصنها الخليفة المعتصم من أهم مراكز بلاد
الشام التجارية . ومن أهم مراكز الاتصال التجاري بين الشرق والغرب (١٦٦) .
ولم يكن يعوق الحركة التجارية في هذا الميناء الا وجود شعاب نابئة تحت الماء
بينها وبين قبرص تسمى السفالة ، كانت تتحطم عليها السفن (١٦٧) ، وكانت
بيروت سوقاً تجارية هامة يرد اليها التجار بالبضائع ، وينقلون أخرى عن
طريقها ، الى جانب ما كان فيها من غلات متوافرة . وكانت ابله من أهم الموانئ
التجارية على البحر الاحمر ، تنقل السلع عن طريقها الى البلاد الخارجية (١٦٨) .
وكانت الرملة مركزاً تجارياً هاماً ، وبها فنادق جيدة (١٦٩) . وكانت حلب من

أكبر الاسواق التجارية ، وكانت تضم بين أرجائها فنادق كثيرة ، واسواق خاصة بكل تجارة .

ج - التجارة الخارجية :

كانت بلاد الشام مركزاً تجارياً ، وطريقاً ناقلاً للمتاجر . وعلى الرغم من ذلك ، فإن التجارة الخارجية فيها ، لم تكن تتناسب مع موقع بلاد الشام الهام بين الشرق والغرب ، ولا مع ما يتوافر في البلاد من مواد أولية تحتاجها الدول الإسلامية الأخرى ، والدول المجاورة . وذلك للأسباب المذكورة سابقاً ، وعلى رأسها الأحوال السياسية ، وقلة الأمن . وقد استطاع أهالي الشام التغلب على هذه العوائق إلى درجة لا بأس بها ، وذلك بمسيرهم مع قوافل الحج في الموسم ليكونوا في حمايتها (١٧٠) .

وقد سلك التجار في مهماتهم ، أهم الطرق التجارية التي كانت تمر ببلاد الشام في تلك الفترة وهي :

١ - الطريق البري من غرب أوروبا إلى المشرق ، ويبدأ من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والوسط والادنى عن طريق تونس حتى مصر . ثم يتجه إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ، ثم إلى العراق ماراً بالكوفة وبغداد (١٧١) .

٢ - الطريق النهري طريق الفرات . فقد كان صالحاً للملاحة من الموضع الذي فيه مدينة سميساط . فكانت تنقل فيه التجارة بين الشام وبغداد . وعلى حين كان هذا الطريق مرغوباً تجارياً ، فإنه لم يكن مهماً بالنسبة لنقل المسافرين (١٧٢) .

وقد تاجرت بلاد الشام بمنتجاتها الزراعية والصناعية مع الدول الإسلامية ، فحمل تجار الشام بضائعهم كالفاكهة والسلاح والحديد إلى عاصمة الخلافة العباسية (١٧٣) ، كما صدروا إلى الفسطاط الحديد لصناعة الأسلحة (١٧٤) . واستوردوا منها الجلود (١٧٥) .

وأهم المواد الزراعية والحيوانية التي صدرتها بلاد الشام إلى البلاد الإسلامية الأخرى الزيتون ، والتين المجفف ، والخرنوب ، والزبيب ، والتفاح ،

والقطن ، والحبوب ، والعسل ، وقلب اللوز ، والارز ، والاشنان ، والجبن ،
والاغنام (١٧٦) ، والرمان (١٧٧) .

واما المواد المصنعة فأشهرها الزيت (١٧٨) ، والسبح ، والصابون ، والفوط ،
والمرابا وقذور القناديل ، والخرز والزجاج المخروط ، والابر ، وشقاق المطارح ،
والكاغد ، والبز ، وثياب المنيرة والبلعيسية ، والديباج ، والحبال ، والسكر ،
ودهن البنفسج (١٧٩) .

وكانت بلاد الشام معبرا وطريقا للتجارة الاوربية الى عاصمة الخلافة ،
والى بلاد المشرق الاقصى . وظهر في هذا المجال في بلاد الشام منذ القرن الثالث ،
التجار الراذانية ، وهم تجار يهود كانوا يبحرون بتجارتهم من مقاطعة بروفانس
بفرنسا ، ويحملون الخدم والفلمان والجواري والديباج والخز الفائق والفراء
والسمور حتى انطاكية التي كانت محطة لتجارتهم ، ثم تنقل هذه البضائع برا
حتى الفرات ثم الى بغداد ، وهناك يعاد تصدير بعضها الى عمان والهند
والصين (١٨٠) . وكذلك كان لمدينة امالفي الايطالية علاقات تجارية مع
انطاكية (١٨١) .

وهكذا فانه يمكننا القول انه على الرغم من الصراعات السياسية التي
كانت تجري أحداثها في الاراضي الشامية في تلك الفترة ، وعلى الرغم من قلة
الامن ، فقد نشطت التجارة في المدن الساحلية مثل طرابلس وبيروت وصور ،
وسائر الموانئ الساحلية الاخرى ، بسبب وقوعها على البحر المتوسط ، الذي
كانت التجاره عبره نشطة . الى جانب نشاط بعض المدن الداخلية .

وعلى الرغم من اشتغال اهالي الشام بتجارة البحار ، الا ان مجال تجارتهم
في هذه الفترة ، ظل اكثر محلية من تجارة بعض البلاد الاسلامية الاخرى (١٨٢) .

(١) التنوخي : المستجد من فعلات الاجواد ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ، طبعة المجمع

العلمي العربي ، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٦ م ص ١٨٤ - ١٨٦

- الفرج بعد الشدة ، مطبعة الهلال بالقجالة مصر سنة ١٩٠٤ ، جزء ١ ، ص ٩٣ - ٩٨

- كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، جزء ٢ ، ص ٢١٨ - ٢١٩

الحياة الاقتصادية في بلاد الشام

- (٢) كان بيت مال دمشق في صحن الجامع الأموي ، مرفوعا على ثمانية أعمدة . وكانت حيطانه مرصعة بالفسيفساء . انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨٢ و ص ١٥٧
- (٣) كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، جزء ٢ ، ص ٢١٥
- (٤) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ ، جزء ١ ، ص ١٩٧ ويقال بأن هذه التلجئة كانت موجودة في عهد الأمويين . وكان هذا النظام بداية لنشوء نظام حمايات الذي شاع في الخلافة الإسلامية في الفترة المتأخرة .
- (٥) محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٠٠ - أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جزء ١ ، ص ١٢٢ ، وجزء ٢ ، ص ١٠
- (٦) هو أمير الرملة . انظر ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، ص ١٥٣ - و ص ١٥٥
- (٧) ابن سعيد الأندلسي : المصدر السابق ، ص ١٥٥
- (٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جزء ٦ ص ٣١٨ - ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، CANARD; Sayf Al Dawlat., P. 43. ص ٢٧٩
- (٩) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٢٨١ - ٢٨٦ - ٢٨٧
- (١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، طبعة ليدن ١٩٣٨ ، ص ١٧٥ - وانظر تفاصيل الجباية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك في زيدان : التمدن الإسلامي ، جزء ١ ، ص ١٧٦
- (١١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن مطبعة بريل ١٩٦٧ ، ص ١٠٤ - كرد علي : الإدارة الإسلامية ، ص ١٤٤ وانظر أيضا فيما بعد الثروة الزراعية .
- (١٢) كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، جزء ٢ ، ص ٢١٥
- (١٣) نبل من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وهو يلي ابن خرداذبة المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ م ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧
- (١٤) الارتفاع : الإراد والفريية .
- (١٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، منشورات الاعلمي بيروت ١٩٧١ ، ص ١٥١
- (١٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جزء ٩ ، ص ١١٦ - ١١٧
- (١٧) مخطوطه ، مجلد ٦ ، ورقة ٥٢

- (١٨) انظر قدامه بن جعفر : المصدر السابق ، ص ٢٥١
- جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، مطبعة الهلال طبعة رابعة ١٩٢٦ ، جزء ٢ ، ص ٥٤ و ٥٩ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٨٩ و جزء ٣ ، ص ٢٩٤
- (١٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٩ - ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ م ص ٧٥ - ٧٩ - زيدان : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٩ و ص ٦١
(٢٠) زيدان : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٧ حتى ١١١
(٢١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨٨ - ١٨٩
(٢٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٩
- (٢٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٤ . ويذكر كرد علي : في كتابة الادارة الاسلامية ، ص ١٤٤ ذلك ولكن مع بعض التغيير دون ذكر المصدر الذي استقى منه المادة
(٢٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، المجلد الثانية ، قسم اول ، تحقيق النجد ، ص ١٦٦
CANARD : Sayf Al Dawla - PP. 28 - 29 - (٢٥)
(٢٦) كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، جزء ٢ ص ٢١٣
(٢٧) كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢١٥
(٢٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جزء ١ ، ص ١٧٧ - ١٧٨
(٢٩) البلاد ذري : فتوح البلدان ، طبعة بريل ١٨٦٦ ، ص ١٥١
- (٣٠) محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨
(٣١) المجلة التاريخية للجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، العدد الثالث ١٩٧٤ ، مقال عن تراث العرب العمراني في فلسطين في ظل الحكم الاسلامي ، للدكتور عواد مجيد الاعظمي ، ص ٢٢٨
(٣٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٢١١ - ٢١٢ - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣
- (٣٣) هو ابو بكر محمد بن احمد الصنوبري من مواليد انطاكية ، التحق بمجلس سيف الدولة ، وكان امينا على خزانة كتبه . تغنى كثيرا بذكر حلب والرقعة . كان يحب وصف الازهار ومنها الورد والترجس ، توفي سنة ٣٣٤ هـ وهو يناهز الخمسين . انظر ابن البديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ٩٨ - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥

- (٢٤) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢
- (٢٥) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢
- (٢٦) ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوطة ، مجلد ٤ ورقة ٩٧ - ٩٨ وهذا ما يعرف في التاريخ الاسلامي بروك الارض .
- (٢٧) حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٦٥
- (٢٨) الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ - ١١٧ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ - العيون والحقائق ، الجزء الاول ، ص ٤٠٨
- (٢٩) ابن العديم : بغية الطلب ، مجلد ٦ ، ورقة ٥٢
- (٤٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١
- (٤١) ابن حوقل : المرجع السابق ، ص ١٧٤
- (٤٢) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، جزء ٤ ، ص ٩٥ - ٩٦
- (٤٣) هي المسافة التي يقطعها المسافر في يومه . انظر المنجد ، مادة رحل
- (٤٤) الاصطخري : صور الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ، ص ٤٥
- (٤٥) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٦
- (٤٦) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٦
- (٤٧) القلقشندي : صبح الاعشى ، جزء ٤ ، ص ٨٦
- (٤٨) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٠
- (٤٩) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨٠
- (٥٠) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٢
- المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ و ص ١٧٤
- الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٤
- (٥١) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٩٨ و ص ١٢٦
- (٥٢) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ، ص ٢٢١
- (٥٣) وقد نقل الينا ذلك عن ابن حوقل كل من :
- آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٢٩
- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٧
- (٥٤) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٧
- (٥٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٠ و ص ١٦٢ و ص ١٧٨
- (٥٦) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٩٨

- (٥٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨١ و ص ١٧٨
- (٥٨) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ١٥٦ - سرور : المرجع السابق ، ص ١٢١
- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٢١
- (٥٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٢
- (٦٠) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٤٦
- (٦١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٣ ، و جزء ٣ ، ص ٣٢١ -
- آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٠
- (٦٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٣
- (٦٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٦
- (٦٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦١ ، و ص ١٦٢
- (٦٥) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٧
- (٦٦) السعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزء ٢ ، ص ٢٨٩
- (٦٧) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٧
- آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٧
- (٦٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٣ و ص ١٧٦
- المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩
- (٦٩) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٦ و ص ١٨٢
- (٧٠) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٧
- (٧١) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢
- (٧٢) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٩٨
- (٧٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٦ و ص ١٧٩ و ص ١٧٥
- (٧٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٤
- (٧٥) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٩٨
- (٧٦) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٢ و ص ١٧٨
- (٧٧) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٤
- (٧٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨١
- المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٦
- الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٦
- (٧٩) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٨ و ص ١٨١
- القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٣ - ١٢٤
- (٨٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، ص ٣٠٣
- (٨١) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٧ و ص ٨٦
- (٨٢) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٧

- (٨٢) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١
- (٨٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٠
- (٨٥) عن الصنوبري انظر فيما سبق اما كشاجم فهو من الشعراء المشهورين وقد نسخ السري ديوانه واذاف اليه من شعر الخالدين ليثبت سرقتهما للشعر .
- (٨٦) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٧
- (٨٧) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٤٧
- ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨٢
- آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٨
- (٨٨) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٦
- (٨٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٦
- (٩٠) السعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٠٧ - ابن المديم : مخطوطة بغية الطلب ، جزء ٨ ، ص ٢٠٧
- (٩١) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠
- (٩٢) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١
- (٩٣) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٨
- (٩٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٤
- (٩٥) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٣
- (٩٦) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٨
- (٩٧) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٧ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٩
- (٩٨) مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٢ لسنة ١٩٢٢ ، ص ٢٢
- (٩٩) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١٣
- (١٠٠) ابن الجوزي : اخبار الحمقى والغفلين ، المقدمة ص ١
- (١٠١) مجلة المجمع : جزء ٢ ، ص ٢٢
- (١٠٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ و ١٧٤
- (١٠٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ص ٢٩٢
- (١٠٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٤٥
- (١٠٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ و ١٧٤
- (١٠٦) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٨
- (١٠٧) مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٢ سنة ١٩٢٢ ، مقال لميسى اسكندر الملوفا ، حقائق تاريخية عن دمشق وحضارتها ، ص ٢٢
- (١٠٨) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ١٥٧
- (١٠٩) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٩ و جزء ٤ ، ص ٣٩٦
- (١١٠) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٤
- القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١١

- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٨
 (١١١) انظر القصة كاملة في التنوخي : المستجاد من فعل الاجواد ، ص ١٢٤ - ١٣٥
 (١١٢) مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٢ ، ص ٢١ - ٢٢
 (١١٣) مجلة المجمع ، مجلد ٢ ، ص ٢٢
 (١١٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٤ و ص ١٨٤
 (١١٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٤
 (١١٦) الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٤٧
 (١١٧) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٥
 - أحمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٤٦
 - مجلة المجمع العلمي ، مجلد ٢ ، ص ٢٢
 - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٢٥
 (١١٨) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٧
 (١١٩) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٢
 (١٢٠) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٧ و ص ١٨٠
 (١٢١) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ١٥٧
 - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٢
 - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٤
 (١٢٢) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٤
 (١٢٣) الثعالبي : لطائف المعارف : ص ١٥٧
 (١٢٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٧
 (١٢٥) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٠
 (١٢٦) انظر عن ذلك كل من الجاحظ : المحاسن والاضداد ، ص ١٠٢ - والتنوخي :
 الفرج بعد الشدة ، جزء ١ ، ص ١٦٣ والمستجاد من فعلات الاجواد ، ص ٣٥ - ٤٠
 - ابن الجوزي : المنتظم ، جزء ٥ ، قسم ثاني ، ص ٦٥ و جزء ٦ ، ص ١٢٨
 (١٢٧) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢
 (١٢٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٩
 (١٢٩) انظر فيما سبق .
 (١٣٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢
 (١٣١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٨٠
 (١٣٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨
 (١٣٣) عطية القوسي : تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة
 العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، ص ٢٢٩
 (١٣٤) عطية القوسي : المرجع السابق ، ص ٢٢٣
 (١٣٥)

LANE POOLE : Catalogue of the Collection of Arabic Coins, P. 135.

ibid., (١٣٦)

ibid., (١٣٧)

ibid., (١٢٨)

ibid., (١٢٩)

ibid., (١٤٠)

ibid., (١٤١)

ibid., (١٤٢)

ibid., (١٤٣)

(١٤٤) الفلّس = ————— من الدرهم ، انظر :

٢٤

— عطية القوسي : المرجع السابق ، ص ٢٣٠

(١٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، جزء ١ ، ص ٦٠

LANE POOLE : Op. cit., P. 121.

Ibid : PP. 121 - 122.

(١٤٨) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ص ١٤٣

(١٤٩) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٦٢

(١٥٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨٣

(١٥١) حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة القسطنطينية منذ

الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، ص ١٣٢

(١٥٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جزء ٢ ، ص ١٠٧

(١٥٣) انظر فيما سبق .

(١٥٤) حورية عبده سلام : المرجع السابق ، ص ١٣٣

(١٥٥) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٢

(١٥٦) الثعالبي : يتيمة الدهر ، جزء ١ ، ص ٢٣٥

(١٥٧) من أجل أسواق دمشق : انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق المنجد ،

مجلد ٢ ، قسم ١ على التوالي ص ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١

(١٥٨) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٤٢

— حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٣٠

(١٥٩) ابن جبير : رحلته ، ص ٢٧٨

(١٦٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤١٢

(١٦١) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٣

(١٦٢) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٤٠٠

(١٦٣) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٢٩

(١٦٤) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٣

(١٦٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٧

(١٦٦) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٥٠

- (١٦٧) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٦
(١٦٨) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٢٩
(١٦٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٢ و ص ١٦٤
(١٧٠) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٧ - ٣١٨
(١٧١) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٥٠
(١٧٢) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٨٩
(١٧٣) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٥ - ٣٦٦
(١٧٤) حورية عبده سلام : المرجع السابق ، ص ١٠٧
(١٧٥) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٩٨
(١٧٦) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١
(١٧٧) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٩٨
(١٧٨) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨٩
(١٧٩) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١
(١٨٠) آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦
(١٨١) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٥٥
(١٨٢) أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٢٥٨-٢٥٩